العقيدة ١

المحاضرة الحادية عشر

الغضب والرضى وشروط (لا إله إلا الله)

٢- الغضب والرضى

قوله والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى

شرح : قال تعالى : رضي الله عنهم . لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . وقال تعالى : من لعنه الله وغضب عليه . وغضب الله عليه ولعنه . وباءوا بغضب من الله . ونظائر ذلك كثيرة . ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب ، والرضى ، والعداوة ، والولاية ، والحب ، والبغض ، ونحو ذلك من الصفات ، التي ورد بها الكتاب والسنة ، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى . كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات

الرد على من تأول الغضب والرضى :

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان : لم تأولت ذلك ؟ فلا بد أن يقول : إن الغضب غليان دم القلب ، والرضى الميل والشهوة ، وذلك لا يليق بالله تعالى ! فيقال له : غليان دم القلب في الأدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب ، لا أنه الغضب . ويقال له أيضاً : وكذلك الإرادة والمشية فينا ، فهي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه ، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة ، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه ، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء ، فإن جاز هذا جاز ذاك ، وإن امتنع هذا امتنع ذاك .

فإن قال : الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد ، وإن كان كل منهما حقيقة ؟ قيل له : فقل : إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد ، وإن كان كل منهما حقيقة . فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات ، لم يتعين التأويل ، بل يجب تركه ، لأنك تسلم من التناقض ، وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب . فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام ، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله ، إذ العقول مختلفة ، فكل يقول إن عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر !

موقف الجهمية من هاتين الصفتين وغيرهما :

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه ، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحوه ذلك ، وقالوا : إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه ، ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك !!

موقف الكلاية من هذا :

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه ، فقالوا : لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً ، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته ، قديمة أزلية ، فلا يرضى في وقت دون وقت ، ولا يغضب في وقت دون وقت . كما قال في حديث الشفاعة : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده

الرد على الكلاية :

كما قال في حديث الشفاعة : إن [ص : ٦٨٨] ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً . فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت ، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط ، كما يحل السخط ثم يرضى ، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط . وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام ، حين سأله عن الإيمان ، فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، الحديث - فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك ، ثم بالكلام على الملائكة ، ثم وثم ، إلى آخره .

٣- الخلة

ونقول: ان الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلم الله موسى تكليماً ، إيماناً وتصديقاً وتسليماً شرح : قال تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} ، وقال تعالى : {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}. الخلة : كمال المحبة .

وأكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين ، زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب ، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة ! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم ، كما تقدم ، وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم ، في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط ، خطب الناس يوم الأضحى فقال : أيها الناس ضحوا ، تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل فذبحه . وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم ، فجزاه الله عن الدين وأهله خيراً .

وأخذ هذا المذهب عن الجعد - الجهم بن صفوان ، فأظهره وناظر عليه ، وإليه أضيف قول : الجهمية . فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها ، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد ، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون ، حتى امتحن أئمة الإسلام ، ودعوهم إلى الموافقة

لهم على ذلك . وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة ، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليماً ، لأن الخلّة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب ، كما قيل :

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى ، كسائر صفاته . ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي قال : لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله ، يعني نفسه .

وفي رواية : إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً . وفي رواية : إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً .

فبين أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً ، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق . مع أنه قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً ، كقوله لمعاذ : والله إني لأحبك . وكذلك قوله للأَنْصار . وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ، وابنه أسامة حبه . وأمثال ذلك . وقال له عمرو بن العاص : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قال : فمن الرجال ؟ قال : أبوها . فعلم أن الخلّة أخص من مطلق المحبة ، والمحبوب بها لكمالها يكون محباً لذاته ، لا لشيء آخر .

الخلّة التي لا تقبل المشاركة:

ومن كمالها لا تقبل الشركة [ولا] المزاحمة ، لتخللها المحب ، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب . ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا ، فوهب له إسماعيل ، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه ، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره ، فامتحنه به بذبحه ، ليظهر سر الخلّة [في تقديمه محبة خليله على محبة ولده ، فلما استسلم لأمر ربه ، وعزم على فعله ، فظهر سلطان الخلّة في الإقدام على ذبح الولد إثارة لمحبة خليله على محبته ، نسخ الله ذلك عنه ، وفداه بالذبح العظيم ، لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر ، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة ، فنسخ في حقه ، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة ،

مشاركة النبي ﷺ لإبراهيم وموسى فيما اختصا به :

وكما أن منزلة الخلّة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء .

إنكار الجهمية لصفة الخلّة و المحبة :

وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين ، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب ، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة ! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم ، كما تقدم ، وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو [الجعد بن درهم](#) ، في أوائل المائة الثانية فضحى به [خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط](#) ، [خطب الناس يوم](#)

الأضحى فقال : أيها الناس ضحوا ، تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، ثم نزل فذبحه . وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم ، فجزاه الله عن الدين وأهله خيرا .
وأخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان ، فأظهره وناظر عليه ، وإليه أضيف قول الجهمية . فقتله سلم بن أحوز أمير [ص: ٣٩٦] خراسان بها ، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد ، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون ، حتى امتحن أئمة الإسلام ، ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك .
وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة ، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلا وموسى كليما ، لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب ، كما قيل :

٤- العرش والكرسي

وقوله : (والعرش والكرسي حق)

أولاً : العرش:

شرح : كما بين تعالى في كتابه ، قال تعالى: ((ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ)) [١] ... ((رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ)) [٢] ... ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) [٣] ... ((تُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)) [٤] في غير ما آية من القرآن: ((لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)) [٥] ... ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)) [٦] ... ((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)) [٧] ... ((وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ)) [٨] ... ((وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)) [٩]

، وفي صحيح البخاري عن رسول الله أنه قال : إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وفوقه عرش الرحمن . يروى وفوقه بالنصب على الظرفية ، وبالرفع على الابتداء ، أي : وسقفه .

أوهام أهل الكلام في صفة العرش :

وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ، وربما سموه : الفلك الأطلس ، والفلك التاسع ! وهذا ليس بصحيح ، لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، كما قال ﷺ: فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور .

والعرش في اللغة : عبارة عن السرير الذي للملك ، كما قال تعالى عن بلقيس : ((وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)) . وليس هو فلكاً ، ولا تفهم منه العرب ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، فهو : سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات .

وأما من حرف كلام الله ، وجعل العرش عبارة عن الملك ، كيف يصنع بقوله تعالى : ((وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ)) وقوله: ((وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)) . أيقول : ويحمل ملكه

يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء ! ويكون موسى عليه السلام آخذاً من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!!

ثانيا الكرسى :

وأما الكرسى فقال تعالى : ((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)) . وقد قيل : هو العرش ، والصحيح أنه غيره ، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره .

روى ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش ، والحاكم في مستدرکه ، وقال : إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)) [١٦] ، أنه قال : الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى . وقد روي مرفوعاً ، والصواب أنه موقوف على ابن عباس .

وقال السدي : السماوات والأرض في جوف الكرسى بين يدي العرش . وقال ابن جرير : قال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله يقول : ما الكرسى في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض . وقيل : كرسية علمه ، وينسب إلى ابن عباس والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة ، كما تقدم .

ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن . والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم ، كما قيل في العرش . وإنما هو- كما قال غير واحد من السلف : بين يدي العرش كالمراقبة إليه

هـ-فضل شهادة أن لا إله إلا الله :

كلمة لا إله إلا الله هي سبيل السعادة في الدارين فبالترزامها النجاة من النار وبدعم التزامها البقاء في النار ، وبها تنقل الموازين وبدونها تخف الموازين وبها أخذ الله الميثاق (وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار ، لذا فقد اجتمعت لهذه الكلمة العظيمة كثير من الفضائل :

١-فهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها ، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم فقدمها أولاً قبل كل نعمة ، فقال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) .

٢-وهي العروة الوثقى : قال تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصال لها) . قاله سعيد بن جبیر والضحاك .

٣-وهي العهد الذي ذكره الله عز وجل إذ يقول : (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : شهادة أن لا إله إلا الله ، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله وأن لا يرجو إلا الله عز وجل .

٤-وهي الحسنى التي ذكرها تعالى في قوله : (فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى) . قاله أبو عبدالرحمن السلمي والضحاك ، ورواه عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٥-وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل إذ يقول : (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) قاله البغوي .

٦-وهي كلمة التقوى التي ذكرها تعالى في قوله : (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) رواه ابن جرير وعبدالله بن أحمد والترمذي .

٧-وهي القول الثابت الذي ذكره تعالى في قوله : (يثبت الله الاذنين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقد ثبت ذلك في الصحيحين عن البراء عن النبي ﷺ .

٨-وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً في قوله تعالى : (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) . وهو مروى عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فأصلها ثابت في قلب المؤمن وفروعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل ، وكذا قال الضحاك وابن جبير وعكرمة ومجاهد وغيرهم .

٩-وهي سبب النجاة من النار ، كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : (خرجت من النار) . وفيه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار) وفي حديث الشفاعة : (أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) .

١٠-وهي سبب دخول الجنة ، ففي الصحيح أنه ﷺ قال : (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة) .

١١-وهي أفضل ما ذكر الله به عز وجل كما يقول عليه الصلاة والسلام : (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله) .

١٢-وهي أثقل شيء في الميزان كما في المسند عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته : أمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعن في كفة ووضعن في كفة ووضعن في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله وفي الترمذي والنسائي والمسند عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الهل ﷺ يقول : (إن الله سيخلص رجلاً من أممي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أنتكر من هذا شيئاً ، أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : فإنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات وتثقل البطاقة ولا يتنقل مع اسم الله تعالى شيء)^١ .

١٣-ويكفي في فضلها إخبار النبي ﷺ أنها على جميع شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وهذا لفظ مسلم . فمن قال هذه

الكلمة عالماً ومتيقناً معناها وعاملاً بمقتضاها على وفق ما علمه منها وتيقنه في القول والعمل – قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح – ومات على ذلك دخل الجنة .

٦-شروط (لا إله إلا الله) التي لا ينتفع قائلها إلا باستكمالها :

١-العلم : بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك .

قال الله عز وجل : (فاعلم أنه لا إله إلا الله)، وقال تعالى : (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم .

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) .

٢-اليقين : المنافي للشك وذلك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً .

قال الله عز وجل : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فاشتراط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا ، أي لم يشكوا ، فأما المرتاب فهو من المنافقين – والعياذ بالله – الذي قال الله تعالى فيهم : (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) . وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال : (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره الجنة ..) فاشتراط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شك فيها .

٣-القبول : - المنافي للرد- لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه .

فالمشركون لم ينفوا ما نفته هذه الكلمة ولم يثبتوا ما أثبتته بل قالوا إنكاراً واستكباراً (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب)، وقال تعالى فيهم : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) .

٤-الانقياد : - لما دلت عليه هذه الكلمة – المنافي للترك .

قال الله عز وجل : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له)، وقال تعالى : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)، وقال تعالى : (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) - أي بلا إله إلا الله - (وإلى الله عاقبة الأمور) ومعنى يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ينفاد وهو محسن موحد. وتام الانقياد وغايته ومعناه تقديم محاب الله وإن خالفت الهوى وبغض ما يبغضه الله وإن مال إليه الهوى .

٥-الصدق : فيها المنافي للكذب وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه .

قال تعالى : (ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)، وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً : (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين

آمنوا وما يخدعون إلا أنفهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون .

وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) [النساء : ٦٥] ، وهذا تمام الانقياد حين يجتمع الانقياد بالعمل مع الانقياد بالقلب ويكون هوى العبد تبعاً لشرع الله عز وجل .

أما اليقين فمعناه استيقان أنها حق ، وقد يستيقن ذلك ولكن لا يريده ولا يحبه كما ذكر الله عن المشركين (وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم) ، وقد يقولها مع استيقان القلب بها لكن ليس صادقاً في إرادتها ورغبته الذاتية في قولها بل قد يقولها لدافع آخر دون الرغبة في أن يدين بها ويضحي من أجلها ويعمل لها ، فالصدق منافٍ للكذب ، واليقين منافٍ للشك ، وقد يقول رجل كلمة الشهادة برغبته صادقاً في إرادة قولها لكن في قلبه شك منها ، فلزم التنبيه على اكتمال جميع هذه المعاني الدقيقة في القلب .

٦-الإخلاص : وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك ، ولا يكون له من وراء الشهادتين غرض آخر غير قصده لربه ، فتارك الإخلاص لم يستكمل شروط لا إله إلا الله ولو كان منقاداً صادقاً مستيقناً .

قال تعالى : (ألا الله الدين الخالص) ، وقال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) . وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل) .

٧-المحبة : لهذه الكلمة ، ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها ، وبغض ما ناقض ذلك . قال الله عز وجل : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) . فأخبر الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حباً له ، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه . البقرة : ١٦٥ ، وهذه الآية لها تفسيران ، الأول : (ومن الناس من يتخذ من دون الله) أي غيره * أي غيره (أنداداً يحبونهم كحب الله) أي كالحب الذي ينبغي أن لا يكون إلا لله (والذين آمنوا أشد حباً لله) أي من حب المشركين لألهتهم ، وذلك أن الحب الذي لا يكون إلا لله درجات .

الثاني : (ومن الناس من يتخذ من دون الله) أي غيره معه ، فيصير المراد : ومن الناس من يتخذ مع الله ... (أنداداً يحبونهم كحب الله) أي يحبون شركاءهم كحبهم لله (والذين آمنوا أشد حباً لله) = حباً لله) أي من حب المشركين له . وذلك لأن حب المؤمنين لم ينقسم بين شريكين فحبهم كله لله وحده .

*علامات محبة العبد لربه .

ومحبة العبد لربه لها علامات تعتبر شروطاً في المحبة لا يتصور وجودها مع عدم [وجود] شرط منها ، وأظهرها :

١-تقديم محاب الله وإن خالفت هواه وبغض ما يبغضه ربه وإن مال إليه هواه . قال تعالى : (رأيت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا) ، وقال تعالى : (أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ...) ، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) ، وفيهما عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) .

٢-موالاة من والى الله ورسوله ﷺ ، ومعاداة من عادى الله ورسوله ﷺ . قال تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ..) ، وقال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) . وقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ...) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ..) ، وسبق في حديث (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان) : (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) ، وقال ﷺ : (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله وعادى في الله ، فإنما تُنال ولاية الله بذلك ، وقد أصبح غالب مؤاخاة الناس اليوم على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهل شيئاً .

٣-إتباع الرسول ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداة .

قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) .

قال الحسن البصري وغيره من السلف : ادعى قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) .

وقال رسول الله ﷺ : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا : يا رسول الله ، ومنت ياأبى ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري .

٧-بيان أن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن أو لا تتم إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ :

وذلك أنه إذا عُلِمَ أنه لا تتم محبة الله عز وجل التي هي من شروط الشهادة إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه فصارت محبته مستلزماً لمحبة الرسول ﷺ وتصديقه ومتابعته ، ولهذا قرن محبته بمحبة الرسول ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله عز وجل : (

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين .

٨- بيان أنه لا تناقض بين أحاديث أن الشهادتين سبب لدخول الجنة ، وأحاديث الوعيد بالنار أو تحريم الجنة على من فعل بعض الذنوب ، ونحو ذلك من أحاديث الوعد والوعيد :

ذكر ابن رجب رحمه الله أن أظهر الأقوال في ذلك أن المراد من الأحاديث الدالة على أن الشهادتين تدخل صاحبهما الجنة وأن (من صلى البردين دخل الجنة) ونحو ذلك أن هذه الأعمال سبب لدخول الجنة ومقتضى لذلك ، وكذا أحاديث الوعيد ، التي مضمونها أن من فعل كذا من الأفعال دخل النار أو لم يدخل الجنة ، فالمراد أن ذلك سبب مقتضى لدخول النار ، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع ، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه .

وقد ذكرنا فيما مضى بالأدلة أن لا إله إلا الله لها شروط لا تصح إلا بها وإنما ينتفع قائلها باستكمالها ، وقد يذكر الرسول ﷺ مرة هذا الشرط ومرة أخرى يذكر ذلك الشرط ، ومرة يذكر الوعد بالجنة دون الإشارة إلى تلك الشروط فتكون هذه نصوصاً مطلقة لها ما يقيدها في الأحاديث الأخرى ، ولذلك لما تخلفت هذه الشروط عن قول المنافقين : لا إله إلا الله لم تنفعهم هذه الكلمة، وكذلك الأعمال التي وعد عليها الرسول ﷺ بالجنة مقيدة بأشياء منها ترك الشرك وأعمال الكفر ، فقد قال تعالى : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك)، ولذلك لم ينتفع المنافقون بصلاة البردين ، فظهر أن المراد أن هذه الأعمال الممدوحة من الأعمال المؤدية لدخول الجنة مع وجود الشروط وانتفاء الموانع ، وقد قال وهب بن منبه لمن سأله : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك . وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته : ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن : نعم العدة لكن لا إله إلا الله شروطاً فإياك وقذف المحصنات . وقيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة . فقال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة .

() قال تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [النساء : ١٤٥]

وقد اشترط رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة أعمالاً أخرى غير الشهادتين لدخول الجنة كقوله ﷺ في الصحيحين لمن سأله عن عمل يدخله الجنة : (تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم) والرسول ﷺ لا يتناقض كلامه ، فدل هذا على أن الأحاديث التي وعد فيها بالجنة على عمل واحد من الأعمال أو أكثر فالمراد أن هذه الأعمال أسباب لدخول الجنة : (تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم) والرسول ﷺ لا يتناقض كلامه ، فدل هذا على أن الأحاديث التي وعد فيها بالجنة على عمل واحد من الأعمال أو أكثر فالمراد أن هذه الأعمال أسباب لدخول الجنة مع وجود شروطها وانتفاء موانعها ، فمثل هذه النصوص المطلقة ينبغي أن تفيد بما ذكر من زيادات في أحاديث أخر ، ففي بعض أحاديث الوعد بالجنة على كلمة لا إله إلا الله (من قال لا إله إلا الله ينتهي بذلك وجه الله ..) وفي بعضها (مستيقناً) ، وفي هذا وغيره مما ذكرنا سابقاً إشارة إلى العمل بمقتضيات تلك الشهادة وضرورة تحقق القلب

بمعناها ، وذلك أن لا يأله العبد غير الهه حياً ورجاءً وخوفاً وطمعاً وتوكلاً واستعانةً وخضوعاً وإنابةً وطلباً ، وتحققه بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ .

فالمراد إذاً من قول : لا إله إلا الله الإتيان بهذه الكلمة بمقتضياتها وإلا كانت عبثاً ، ومن قال هذه الكلمة العظيمة ملتزماً بما تضمنته فلا شك أنه ممن يستحق الوعد بالجنة ، وبيان ذلك أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غيره ، والإله هو الذي يطاع هيبَةً وإجلالاً ومحبةً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل ، ولا شك أن من قال لا إله إلا الله بمعناها هذا عاملاً به يدخل الجنة دون عقاب ، وأما من أخل بشيء من مقتضياتها فإنه ينتقص من توحيد به بقدر ما أخل به ، وقد ينتقص توحيد بالكلية كما لو أشرك مع الله غيره في عبادة من العبادات فهذا عقوبته النار خالداً فيها إن لم يتب ، وقد يكون ما أخل به قادحاً في تمام التوحيد فيعذب بقدر ما أخل به قبل أن يدخل الجنة ، وكل ما يأتي به العبد من أمور تخالف مقتضيات كلمة الشهادة فهو قدح في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقص في توحيد ، ويكون فيه من العبودية لغير الله بحسب ما تلبس به من تلك الأمور المخالفة لمقتضيات الشهادة وهذا كله من فروع الشرك .

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها هوى النفس أنها كفر وشرك ، وكذا ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع ، قال تعالى : (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال الحسن : هو الذي كلما هوى شيئاً ركبه ، وكلما انتهى شيئاً أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع . ويشهد لهذا الحديث الصحيح : (تعس عبدالدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبدالقظيفة ، تعس عبدالخميصة ، تعس وانكس ، وإذا شيك فلا انتقش) فدل هذا على أن من أحب شيئاً وأطاعه وكان من غاية مقصوده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه ، وكان ذلك بحسب قدره- إما منافياً بالكلية لشهادة أن لا إله إلا الله ، وإما قادحاً ومنافياً لكمالها وتامها ، وفي الحالة الأولى لا يستحق صاحب تلك العبادة الباطلة ما جاء في أحاديث الوعد على الشهادتين لأنه لم يحققهما ، وفي الحالة الثانية لا يستحق دخول الجنة دون سابقة عذاب ، ومثله إنما يدخل الجنة بالشهادتين بعدما يطهره الله من ذنوبه في النار إن لم يغفر له .

ويدل على ما ذكرنا أيضاً أن الله تعالى سمي طاعة الشيطان في معصية الله عبادة للشيطان فقال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) ، ولا يكون مخلصاً في قول لا إله إلا الله مخلصاً عبوديته للرحمن إلا من خالص من عبادة الشيطان وهم الذين قال الله فيهم : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فهم الذين حققوا قول لا غله إلا الله وأخلصوا في قولهم بفعالهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلاً ، وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا الله ، وهم عباد الله حقاً ، فأما من قال لا إله إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب قوله فعله ونقص من كمال توحيد به بقدر معصيته لله ، ومما يشهد لذلك أيضاً أن من أخل بشيء من حقوق لا إله إلا الله في الدنيا لا ترتفع عنه العقوبة لمجرد تلفظه بالشهادتين ، فكذا عقوبة الآخرة ، وبيان ذلك أن النبي ﷺ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ﷺ - ، ففهم عمر وجماعة من الصحابة - رضي الله عنهم جميعاً - أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك ،

فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة ، وفهم الصديق رضي الله عنه ، أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ في نفس الحديث السابق : (فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله) ولذا رأى قتال مانعي الزكاة ، وهذا الذي فهمه الصديق ثبت عن رسول الله - ﷺ - قال ؛ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ﷺ - ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ..) .

ودل على ذلك قوله تعالى : (فإن تابوا وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ، فمن مقتضيات الشهادتين ومن حقوق التوحيد أداء الفرائض ، ولما قرر أبو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوا صواباً ، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عن أدى الشهادتين مطلقاً بل يعاقب إذا أخل بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة ، فالذي شرع عقوبة الدنيا هو الذي سيعاقب في الآخرة سبحانه وتعالى .

وختاماً لهذا الموضوع نحب أن نثبت بالإضافة إلى ما سبق بقية الأقوال في أحاديث الوعد والوعيد ، وملخص الأقوال في هذا الأمر أن أحاديث الوعد إما أن تكون وعداً بالجنة أو تحريماً على النار ، وكذلك أحاديث الوعيد إما أن تكون وعيداً بالنار أو تحريماً على الجنة وفيما يلي بيان كل من هذه الأقسام بما يحصل به الجمع بين الأحاديث :

أولاً : أحاديث الوعد : (أي الوعد بالجنة لمن أتى بالشهادتين أو فعل بعض الطاعات ، أو تحريم النار عليه) .

أ- أحاديث الوعد بالجنة :

- وهذه تحمل على أن المراد أن يدخلها إذا فعل الأمر الممدوح المذكور في الحديث بعد أن يظهر من ذنوبه في النار .

ب- أحاديث التحريم على النار :

- وهذه تحمل على أن المراد تحريمه عليها بعد خروجه منها بعد تطهيره من الذنوب الأخرى أو بالشفاعة ثم اغتساله في نهر الحياة ودخوله الجنة فحينئذ يحرم على النار فلا تمسه أبداً .

- أو أن المراد تحريمه على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها عصاة الموحدين ممن شاء الله عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه .

وأجاب بعض العلماء عن أحاديث الوعد عامة بأجوبة أخرى غير هذه منها أن هذه الأحاديث كانت قبل نزول الفرائض واستكمال الدين في حق من مات قبل هذه الفرائض فجعلها البعض منسوخة بالأحاديث الأخرى وجعلها البعض محكمة لكن ضمت إليها شرائط ، وهذا راجع إلى الخلاف المشهور بين الأصوليين هل زيادة النص نسخ أم لا ، وقد يزول الخلاف إذا التفقتنا إلى أن بعض المتقدمين كانوا يسمون الإيضاح والبيان نسخاً. وهذا بعيد لصدور بعض أحاديث الوعد في وقت متأخر من حياته ﷺ .

ثانياً : أحاديث الوعيد : (أي الوعيد بالنار أو تحريم الجنة على من فعل بعض الذنوب) :

أ-أحاديث الوعيد بالنار :

-إما أن يقال إن المراد أن العبد يعذب فيها بقدر ذنبه ثم يدخل الجنة .

-أو يقال أن المقصود بالوعيد من استحل الذنب أو المعصية فهو مستحل للخلود في النار بكفره إن لم يتب ، وكذا كل من كان فعله كفراً مخرجاً من الملة.

ب-أحاديث التحريم على الجنة :

-وهذه يجاب عنها بأنها جنات كثيرة كما أخبر النبي ﷺ فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه ، فأهل الجنة متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم .

-كما يجب أن يجاب بأن أهل الجنة متفاوتون في السبق في دخولها فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب هذا الذنب .

-أو يكون تحريمها على من استحل ذلك الذنب .

ومع كل ما سبق فإن الوعد المذكور في الأحاديث لا يلزم إلا بموت الموعود على ذلك العمل الصالح ، وكذلك الوعيد لا يلحق صاحبه إذا تاب قبل موته. ونذكر مرة أخرى بالقول الجامع في ذلك الذي بدأنا به هذا الموضوع وهو أن ما في هذه الأحاديث من وعد أو وعيد فإنه مقيد باستجماع شروطه وانتفاء موانعه والله تعالى أعلم .

،،،

بتوفيق للجميع

khaled